التحليل الحجاجي للشعر ـ قصيدة لا تشكُ للناس جرحا أنت صاحبه للشاعر كريم العراقي أنموذجا

د . فوزية مولود علي خفافة ـ كلية التربية العجيلات ـ جامعة الزاوية

The Argumentative Analysis of Poetry
Poem: Don't complain to people about the wound you caused
To the poet Kareem Al Eraqi

DR. Fawzia Moulod Ali Khafafa

Abstract

This research study investigates the argumentative analysis of the poem written by Kareem Al Eraqi (don't complain), before entering in to the text and analyzing it we divided the study into an introduction in which there is an explaination of the importance of the research and its methodology, then the first section, which was devoted to defining the concept of the term argumentative techniques that the poet employed in presenting arguments.

The reason for my choice to study the poem (don't complain) with an argumentative analysis was because it presents a dialogical text represented in a speech about a life experience that focused on rejecting the complaint because of the humiliation and the degradation it contains, and offering advice and virtuous values in the form of a ruling, making good use of argumentative methods in surprising recipient with evidence, and composing between his arguments and expressions. The descriptive analysis method was the most appropriate for studying the argumentative discourse.

الملخص :

يتناول البحث التحليل الحجاجي لقصيدة الشاعر كريم العراقي (**لا تشك**)، و قبل الولوج في النص، و تحليليه تعرضنا لتقسيم الدراسة إلى مقدمة، و فيها توضيحا لأهمية البحث، و منهجيته، ثم المبحث الأول الذي خُصِّص للتعريف بمفهوم مصطلح

الحجاج لغة و اصطلاحا، ثم تحليل تقنيات الحجاج التي وظفها الشاعر في تقديم الحجج .

وكان سبب اختياري لدراسة قصيدة (**لا تشكُ**) تحليلا حجاجيا؛ لأنها تمثل نصا حواريا يتمثل في خطاب عن تجربة حياتية تركزت على رفض الشكوى لما فيها من مهانة و إذلال، و تقديم النصح، والقيم الفاضلة في صورة حكم، محسنا استعماله للأساليب الحجاجية في أقناع المتلقي مدللا، و مؤلفا بين حججه، وعباراته، و كان منهج التحليل الوصفي هو الأنسب لدراسة الخطاب الحجاجي

المقدمة :

بعد الحمد لله و الصلاة و السلام على خير الكرام سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم .

يعتمد الحجاج لغة الخطاب و الحوار، و ما أنبل هذا الخطاب الذي أعلنه الشاعر كريم العراقي على مسمع و مرئ كل متصفحي شبكة التواصل الاجتماعي (الإنترنت) معلنا فيه معانا قوية صارمة بتقنيات مختلة - وقد وقعت في عقلي و قلبي أشد وقعا - مرجحا فيها لأثبات الحجج التي صاغها لتظهر براعته لأقناع المخاطب .

وتظهر أهمية الدراسة في توظيف مفاهيم ومناهج تحليلية متطورة، وإبراز مكانة الدراسات الأدبية في الحجاج و التحليل الحجاجي للنصوص، و الكشف عن وظائف الاقناع التي يستخدمها المبدع .

و تهدف هذه الدراسة القيام بتحليل حجاجي لقصيدة (**لا تشكُ**)؛ لأنها تتضمن حوارا خطابيا كما نهدف إلى تطوير وإظهار المنهج الحجاجي و توسيع مجالات تطبيقه .

وتطلبت الدراسة تقسيم البحث إلى مقدمة ومبحثين، جاء المبحث الأول: في توضيح مفهوم مصطلح الحجاج لغة واصطلاحا، والتعريف بالشاعر، وعرض القصيدة، وجاء المبحث الثاني للتحليل الحجاجي للقصيدة وقُسمَ المبحث الثاني إلى دلالة العنوان، والاستعارة الحجاجية، و الروابط الحجاجية، وفي الحوار والحجاج، ثم الخاتمة وفيها عرض نتائج البحث.

المبـحـث الأول ـ المفهوم اللغوي والاصطلاحي لمصطلح الحجاج :

1- الحجاج لغة:

"حجج والحجة: القصد، والحجة البرهان، وتقول: حاجه فحجه، أي غلبه بالحجة والرجل محجاج أي جدل[1]" والتحاج: التخاصم "[2] و "الحجة ما دل على صحة الدعوى، وقيل الحجة والدليل واحد " [3] فكل هذه التعريفات اللغوية حول

مصطلح الحجاج تدل على القصد، والدليل والبرهان والنزاع وتشير إلى علاقة تبادلية مع الآخر.

2- الحجاج اصطلاحا:

الحجة " هي كون الشيء مرجعا ودليلا، أو قاعدة يستند إليها لما فيها من جدارة معترف بها ... وما يُراد به إثبات أمر أو نقضه " [4].

وقد استعمل الجاحظ مصطلح الحجاج في كتابه البيان و التبين اذ اخذ عن اهل الهند قولهم في تعريف البلاغة" البصر بالحجة و المعرفة بمواضع الفرصة "[5]

والحجاج " فعل لغوي أو عملية اتصالية أو جنس من الخطاب التفاعلي مع إبراز أهم مكوناته، فالنص الحجاجي في جوهره حوار مع متلقي، حوار يقوم على علاقة ما بين مؤسس النص ومتلقيه، وهي علاقة تتخذ أشكالا عديدة يكشفها الخطابة [6] والحجاج بوصفه منهجا لقراءة وتحليل النصوص، والذي يعنى بلغة الوصف للخطاب وإن كل علاقة حجاجية تتكون على الأقل من ثلاثة عناصر: قول الانطلاق، و قول الوصول وقول العبور، وهذه العناصر تبين نوع الحجاج المستخدم في الخطاب؛ حجاجا خطابيا أم حجاجا جدليا. [7]

ويتمثل الحجاج الخطابي في التأثير العاطفي وإلى إثارة المشاعر، وأما الخطاب الجدلي فيرتكز على النقاش لغاية التأثير العقلي، ويميل إلى فرض الرأي. [8]

و بالنظر لعناصر الحجاج في نص قصيدة (**لا تشكُ**) للشاعر كريم العراقي نلاحظ أهمية ألفاظ قول الانطلاق التي تعتمد على جنس خاص من الأفعال، على شكل توجيهات اقناعية، متمثلة في التشويق و أعمال الفكر و التباهي بعزة النفس و قوتها و النهي و تقديم النصح و استعلاء القيم و استحقار التواطئي و التوسل و التذلل و الشكوى و استخلاص النتائج في صورة حكم .

و لا يمكن القول عن أي نص حجاجي إلَّا اذا توفرت فيه الأقناع و التأثير و انسجام أفكار النص، و تقديم البراهين، و الاستدلال، و الحوار.

3- الشاعر:

كريم عوده شاعر عراقي، ولد في كرادة مريم بالعاصمة بغداد، سنة 18/ 2/ 1955 م وتعلم في مدارس بغداد، كان فطنا شاعرا منذ نعومة أظافره، أكمل تعليمه و تحصل على دبلوم علم النفس و موسيقا الأطفال من معهد المعلمين ببغداد، و قد عُرفَ بالنهر الثالث، فقد كان يشعر لجيش العراق لرفع الهمم لمجابهة العدو

الإيراني، كما كان خير معبرا و مدافعا عن العراقيين، خلال الظروف الصعبة التي عاشوها من الحصار الاقتصادي الأمريكي، و الحرب على العراق، ثم أنه غادر العراق إلى تونس و لم يلبث بها طويلا، حيث ارتحل إلى دول عربية أخرى، و استقر في أبي ظبي للعلاج من مرض السرطان – عفانا الله و إياكم – حتى وفاه الأجل سنة 1/ 9/ 2023 م – ـرحمة الله عليه .

و القصيدة التي نحن بصدد تحليلها حجاجيا قد كتبها الشاعر في سنة 1993 م، و لم تكن كاملة حيث أعاد النظر فيها، و أنجزها وهو في المستشفى بعد ثلاثين سنة، يقول : إن القصيدة رجعت في باله، وأحس بأنها ينقصها الكثير، فقد قالها أيام الشباب و الطيش فأعاد صياغتها، ونظمها من جديد [9] بالصورة التي سيتم عرضها في الفقرة الآتية، و فيها يبث تجاربه وهمومه و أحزانه، و هموم العراق بأكمله بأسلوب عميق و بخطاب حجاجي مؤثر واضح صريح يعتريه بعض الغموض معلنا فيه رفض الشكوى مبرزا أسباب الرفض حتى يقتنع المتلقي بالدوافع سواء كانت عقلية أو نفسية .

4- نص القصيدة [10]

بيتٌ من الشعرِ أذهلني بروعتهِ *** توسّدَ القلبَ مذْ أن خطهُ القلمُ
أضحى شعاري وحفّزني لأكرمهُ *** عشرينَ بيتًا لها مِن مِثلهِ حَكمُ
لا تشكُ للناسِ. جُرحًا أنتَ صاحبهُ *** لا يؤلمُ الجُرحَ إلا منْ به ألمُ
شكواكَ للناسِ يا ابن الناس منقصةٌ. *** ومَن مِن الناسِ صاحٍ ما بهِ سقمُ
فالهمُ كالسيلِ والأمراضُ زاخرةٌ *** حمرُ الدلائلِ مهما أهلها كتموا
فإن شكوتَ. لمنْ طابَ الزمانُ لهُ *** عيناكَ تَغلي. ومنْ تشكو لهُ صنمُ
وإذا شكوتَ لمنْ شكواكَ. تُسعدهُ *** أضفتَ جُرحًا لجرحكَ. اسمهُ الندمُ
هلْ المواساةُ يومًا. حرَّرَتْ وطنـًا *** أَم التعازي بديلٌ. إن هوى العَلَمُ
منْ يندبُ الحظَ. يطفئُ عينَ همِتَّهُ *** لا عينَ للحظِ. إن لمْ تبصرْ الهممُ
كمْ خابَ ظني. بمنْ أهديتهُ ثقتي *** فأجبرتني. على هِجرانِهُ التهمُ
كمْ صِرتُ جسراً. لمنْ أحببتهُ فمشى *** على ضلوعي. وكمْ زلّتْ به قدمُ
فـداسَ قلبي. وكانَ القلبُ منزلهُ *** فما وفائي لخلٍ. مـالهُ قـيمُ
لا اليأسُ ثوبي. ولا الأحزانُ تكسرني *** جرحي عنيدٌ. بلسعِ النارِ يلتئمُ
اشـربْ دموعَكَ واجرعْ مُرّها عسلاً *** يغزو الشموعَ حريقٌ وهي تبتسمُ

والجِـــمْ همومَكَ واسرجْ ظهرهَّا فرسًا *** وانهضْ كسيفٍ إذا الأنصالُ تلتحمُ
عـــــدالةُ الأرضِ مُذْ خُلقتْ مزيفةٌ *** والعدلُ في الأرضِ. لا عدلٌ ولا ذممُ
فالخـــــيرُ. حَملٌ وديعٌ طيبٌ قَلِقٌ *** والشرُ. ذئبٌ خبيثٌ مـــــاكرٌ نَهمُ
كل السكاكينْ صوبُ الشاةِ. راكضةٌ *** لِتطُمئنُ الذئبَ. أن الشملَ ملتئمُ
كـــنْ ذا دهاءٍ وكنْ لصًا. بغيرِ يدٍ *** ترى الملذاتِ. تحتَ يديكَ تـــــزدحمُ
فالـــمالُ والجـــاهُ تمثالانِ مِنْ ذهبٍ *** لهما تصـــلي. بـــكلِ لغاتِها الأممُ
والأقـــوياءُ. طواغيتٌ فراعنةٌ *** وأغلب النـــاسَ تحتَ عروشِهمْ. خَـــــدَمُ
شكـــواكَ شكواي. يا منْ تكتوي ألمًا *** ما ســـالَ دمعٌ على الخدينِ. سالَ دمُ
ومـــنْ ســـوى اللهِ. نأوي تحتَ سدرَتهِ *** ونستعين بـــهِ. عـــوناً ونعتصـــمُ
كـــنْ فيلسوفا تـــــرى أنَ الجميعَ هنا *** يتقاتلونَ على عدمٍ وهمْ عـــــدمُ

المبحث الثاني ـ التحليل الحجاجي للقصيدة:

يقوم التحليل الحجاجي لقصيدة (**لا تشكُ**) على تقنيات و استراتيجيات متنوعة في البنية النصية وهي تقف على عتبات النص المتمثلة في المقدمة، و دلالة العنوان، في تشكيل النص التي ينبع منها الإفصاح و التأثير و الأقناع، ولذا نسعى إلى تحديد العتبة الأولى للنص، وهي المقدمة التي تجعل المتلقي منتبها .

1- مقدمة القصيدة بدأ الشاعر بمطلع بُنيَئ على التشويق اذ قال:

بيتٌ من الشعرِ أذهلني بروعتهِ *** توسّدَ القلبَ مذْ أن خطهُ القلمُ
أضحى شعاري وحفّزني لأكرمهُ *** عشرينَ بيتًا لها مِن مِثلهِ حَكمُ

هذان البيتان كانا مقدمة للقصيدة التي مطلعها (**لا تشكُ**) وقد نوهنا في المبحث الأول إلى أن الشاعر قد قال القصيدة بمطلع:

لا تشكُ للناسِ .. جُرحًا أنتَ صاحبهُ *** لا يؤلمُ الجُرحَ ...إلا منْ به ألمُ

ثم، و بعد ثلاثين عاما خطرت القصيدة على بال الشاعر، فأعدّ لها هذه المقدمة التي دلت على مكانة و قيمة هذا البيت، ففي قوله: **بيت من الشعر اذهلني بروعته** ... ،دفع المتلقي إلى الانتباه إلى ماهية هذا البيت الذي توسد القلب منذ أن كتبه، هناك غموض يحرك الفكر و خاصة أن لفظة البيت جاءت نكرة، وهذا يدل على عظمة و مكانة هذا البيت، ومن هنا استعظم عنصر التشويق إلى معرفة هذا البيت ولما يرنو.

ثم استمر الشاعر مشوقا لما بدا به : أضحى شعاري وحفّزني لأكرمهُ ... وهذه دلالة على قوة الإشارة إلى هذا البيت ، حيث أضحى شعارا، و رمزا، يظهر مكانه لكل الأعيان و إن هذا الرمز له قيمة، حيث ربطه بحرف العطف بجملة وحفزني للوصل و العطاء كرما بعشرين بيت من الحكم ، وتظهر هنا عظمة المقدمة لما حوته من مغزى و إشارات حجاجية لتشويق المتلقي لما سيأتي .

2- دلالة العنوان :

لا تشكُ للناسِ .. جُـرحًا أنتَ صاحبهُ *** لا يؤلمُ الجُرحَ ...إلا منْ به ألمُ

البيت الذي أُعجب به الشاعر، و من خلاله نظم غيره من الأبيات أعلن فيه عدم الشكوى تحت عنوان (لا تشكُ) " قدم لنا معونة كبرى لضبط انسجام النص ، وفهم ما غمض منه إذ هو المحور الذي يتوالد، و يتنامى، و يعيد إنتاج نفسه ، وهو يحدد هوية القصيدة فهو- إن صحت المشابهة – بمثابة الرأس للجسد و الأساس الذي تبنى عليه" [11] وعنوان القصيدة –

لا تشكُ للناسِ .. جُـرحًا أنتَ صاحبهُ ... يحتمل أكثر من قراءة

الشكوى – جرح – نتيجة ← مرض ← عضوي

الشكوى – جرح – نتيجة ← مرض ← نفسي نتيجة مشاكل حب - كره – فقر - احتلال – خداع – حسد

هناك إذن قراءة ضمنية تنسجم مع التحليل الحجاجي بإظهار الظواهر اللغوية التي تنسجم مع العنوان لتظهر مفردات تؤكد على الحجة لرفض الشكوة، وما الغموض الذي يعتري هذا العنوان وراء البيت الشعري في القصيدة الذي يحمل لفظة لا تشكُ.

لقد استهل الشاعر هذا البيت بالنهي قاصدا عدم التذلل و الانكسار، وهنا يظهر الحوار الحجاجي فكأنَّ الشاعر يحاور شخصا آخر ضعيفا متوجعا، يشكو ما المَّ به من مصائب أو أمراض وكلها مضامين في نفس الشاعر بعدم الشكوى – فالشكوى لغير الله مذلة – ثم يُكمل ليرسم لنا صورة تبين الجرح البارز للأعيان، وهنا يكون مرضا وهذه الصورة ضمنية تحمل دلالات بأن يكون هما داخليا محزنا، وقد جعل لفظة جرح – وألم - نكرة وهذا التنكير يفيد تهويل وتعظيم الجرح لشدة الوجع، فهما ليسا كأي جُرح وألم ليتدخل الخيال مع هذا المعنى ويدرك مدى المعاناة التي ألمت بالشاعر، و نستشف الطبيعة الحجاجية لعنوان

القصيدة تمثل في أن الشاعر يقدمه على أنه دليلا أو حجةً عند استخلاص النتائج، فقوله :

لا تشكُ للناسِ .. جُـرحًا أنتَ صاحبهُ... و النتيجة لا يؤلمُ الجُرحَ ...إلا منْ به ألمُ ونتيجة أخرى في القصيدة شكواكَ للناسِ منقصةٌ ... أي الشكوى عيب، ومذلة، و احتقار، و تقليل من النفس، فهذا حجة لعدم الشكوى، و البرنامج الحجاجي لهذا العنوان يمثل كل نص القصيدة بكامله

3- الاستعارة الاحتجاجية :

مفهوم الاستعارة : الاستعارة أسلوب بلاغي يوظفه المبدع لغايات كثيرة ومن أهمها التأثير في المتلقي، و يعرفها علماء البلاغة بانها : " ضرب من المجاز اللغوي وهي تشبيه حذف أحد طرافيه فعلاقتهما المشابهة بين المعنى الحقيقي و المعنى المجازي " [12] و تسمى الاستعارة انزياحا عن اللغة المألوفة، لهذا نجد المبدع يسعى إلى كسر التوقعات عند المتلقي، و التأثير فيه، و هذا غاية الحجاج، و الاستعارة بأنواعها مكنية و تصريحية، فهي التي تؤدي المقام دورا فعالا في نجاح الخطاب الاقناعي [13] ،و لا يكاد أي خطاب أدبي يخلو من الاستعارة بأنواعها، و المبدع يلجأ إلى الاستعارة لغاية حجاجية تمكنه من أهدافه، و الشاعر كريم العراقي يضمن أبياته مجموعة من الاستعارات الحجاجية منها على سبيل التمثيل :

بيتٌ من الشعرِ أذهلني بروعتهِ *** توسّـدَ القلبَ مذْ أن خطهُ القلمُ

أضحى شعاري وحفّـزني لأكرمهُ *** عشرينَ بيتًا لها مِن مِثلهِ حَـكمُ

فالبيت الذي هو لا تشكُ للناسِ. جُـرحًا أنتَ صاحبهُ *** لا يؤلمُ الجُرحَ ...إلا منْ به ألمُ

اذهل الشاعر، أحبه، أعجبه، ردده حتى توسد القلب، أي جعله وسادة يفترشها و يديم البقاء بها، فهذه صورة خيالية، وهي استعارة مكنية شخص فيها قيمة البيت الشعري الذي خطه قديما فبقى مخطوطا مذْ أن خطهُ القلمُ مذ زمن، و ظل مدويا في عقله، و قلبه، و حتى أي صار رمزا، وحفّـزني لأكرمهُ و التحفيز العطاء، فقد جعل بالاستعارة البيت إنسان يُعطى له و يخصه بالكرم، و هنا نستشف حوار بين الشاعر و آخر ليبرز لنا الخطاب الحجاجي، و هذا التعبير ليس مقصودا لذاته ،و إنما مرتبط بمقاصد الشاعر الذي يضع الحجج، لكي يضيف لنا ما تعم به الفائدة، الحجة البيت الذي قلته زمانا اعجبني ← النتيجة ← أضفت إليه عشرين بيتا .

وفي قول الشاعر استعارة : فإن شكوتَ. لمنْ طابَ الزمانُ لهُ *** عيناكَ تَغلي. ومنْ تشكو لهُ صنمُ

لقد أستعار الغليان للعين، أي كيف يبث الشاكي ألمه و حزنه وهو مخنوقا، حتى ظهر أثر ذلك في العينين فكأنَّهما قدر يغلي، و لمن يشكو؟ لصنم، فقد استعان بتشبيه بليغ الحجة إذا شكوت لإنسان سعيد لا يعرف قلبه الحزن ← النتيجة ← انت تكاد تنفجر من شدة الوجع، وهو كالصنم لا يجاوب معك و كأنه لا يراك أو يستمع إليك .

هلْ المواساةُ يومًا. حـرَّرَتْ وطنـًا *** أَم التعازي بديلٌ. إن هوى العَلَمُ

فالاستعارة في المؤاساة! فهل المواساة تحرر الوطن؟ حيث اسند تحرير الوطن للمواساة إلاَّ إن الاستفهام الانكاري أدى الغرض البلاغي، وهو التعجب و الاستهزاء بالشكوى حيث جاء هذا الاستفهام لينكر هذه الأفعال أو البكاء و العزاء يرد الوطن إن ضاع، فهذه الاستعارة كانت الحجج و النتائج أخرها الشاعر، وهي قوله :

اشـــربْ دموعَكَ واجرعْ مُـرّها عسلاً *** يغزو الشموعَ حريقٌ وهي تبتسمُ

والجِـــمْ همومَكَ واسرجْ ظهرهَّا فرسًا *** وانهضْ كسيفٍ إذا الأنصالُ تلتحمُ

أي بدل أن تبك و تشك انهض، و اعز نفسك، و استعد لمجابهة الخطر، كن كالشمعة تحترق و تنير العتمة، و اخلع ثوب الخنوع، وامتطي فراسك، وانصل سيفك ...

و في قوله : كمْ صِرتُ جسراً. لمنْ أحببتهُ فمشى *** على ضلوعي. وكمْ زلّتْ به قدمُ

فقد جعل من نفسه ممرا يعبرون عليه من يحبهم، و هي استعارة تمثيلية، و هو يريد أن يقول إنه يتفانى في بسط الأمور، و حلحلتها، و الرضوخ لهم! لأنه يحبهم، و لكنهم خيبوا ظنه، و استباحوا حرمته، و لكن لحسن النوايا مع الله اخذلهم الله! و سقطوا بشر أعمالهم، و في هذا البيت تفنن في

عرض استعارة تصريحية في قوله :

فـــداسَ قلبي. وكانَ القلبُ منزلهُ *** فما وفائي لخلٍ. مـــالهُ قـــــيمُ

فقد جعل دوس الأرض في الحقيقة خيالا بقوله: داس قلبي دهسا، و القلب محل المشاعر و العواطف، أي يريد محاججا أنهم يدوسون على كل ما هو جميل، و يعلن الرفض بالرد، معلنا ←النتيجة ← فكيف أكون وفيا لمن لا يعرف الإنسانية، و لا يملك مشاعرا

لا اليأسُ ثوبي. ولا الأحزانُ تكسرني *** جرحي عنيدٌ. بلسعِ النارِ يلتئمُ

كل هذا البيت استعارات: لا اليأسُ ثوبي ، و الأحزانُ تكسرني، و جرحي عنيدٌ استعارة مكنية فقد جعل الياس ثوبا، و جعل الأحزان آلة حادة و الجرح إنسان عنيد، كل هذه المسميات استعيرت لتظهر المعنى المراد، و الحجة التي يقصدها الشاعر: بأنه لا يعرف اليأس، فهو يستمد قوته و ثباته مع تجدد الشدائد و الصدمات فلا المصائب تكسره و لا الأحزان تذبله فكلما اشتد الألم و استعصى الجرح شفاؤه فإنه سيلتئم و هذا استعارة تمثيلية.

اشـــربْ دموعَكَ واجرعْ مُـرّها عسلاً *** يغزو الشموعَ حريقٌ وهي تبتسمُ

وفي هذا البيت استعارة تصريحية اشـــربْ دموعَكَ، فهل الدموع تشرب فشاعر أراد القول بأن هذه الدموع نهر يستسقي منه، وهذه الاستعارة تدل عمق الألم الحزن واجرعْ مُـرّها عسلاً ، و يقال: تجرع فلان المر، أي بلعه كرها، لأنه مر ومالح، و كأنه أجبر على ذلك، و مثلها والجِـــمْ همومَكَ ـ واسرجْ ظهرهَّا فرسًا ـ وانهضْ كسيفٍ فكلها استعارات، وظفها الشاعر ليعرض بها الحجج و النتائج و البراهين لعدم الشكوى و لو تجرع المر.

عـــــدالةُ الأرضِ مُذْ خُلقتْ مزيفةُ *** والعدلُ في الأرضِ. لا عدلٌ ولا ذممُ

و في هذا البيت اسند الشاعر العدالة للأرض، و يريد من يعشوا على الأرض، فتزيف العدالة من فعل البشر، ـ و سأعدد الاستعارات في باقي القصيدة : كل السكاكينْ صوبُ الشاةِ. راكضةٌ

ترى الملذاتِ. تحتَ يديكَ تـــــزدحمُ ـ

و نخلص إلى أن الشاعر أجاد في استخدامه الاستعارة الحجاجية، وأدل بها لتوضيح المعاني، و تقديمها في صورة الخيال؛ لشد ذهن المتلقي، و توسيع مداركه، و تقبل النتائج وهي رفض الشكوى.

4- الحوار و الحجاج :

يقول ببرلمان: " الحجاج ليس في النهاية سوى دراسة لطبيعة العقول ثم اختيار أحسن السبل لمحاورتها، والاصغاء اليها ثم محاولة حيازة انسجامها الإيحائي والتحامها مع الطرح المقدم ، فإذا لم توضع هذه الأمور النفسية و الاجتماعية في الحسبان ، فإن الحجاج يكون بلا غاية ، و الحوار من مقتضيات هذا التأثير أو الاقناع (14) "

و للحوار أنواع عديدة منها : الحوار الصريح – الحوار المضمر – الحوار الافقي – الحوار العمودي [15]، و قصيدة (**لا تشكُ**) جاءت على شكل حوار مضمر، و هذه الحوار فيه المتكلم يتناول هموم المخاطبين ، متجردا من نفسه محاججا محاورا ، ويساعد على تبيين هفوات الطرح، والضعف فيه كي لا يقع في بعض العيوب الخطابية التي تُدخل التناقض و التفكك لنص [16] .

فالشاعر يخاطب غيره، وهذا باستخدامه أفعال الأمر، وضمائر المخاطبة والتي تدل على الحوار والخطاب منه ذكره: لا تشكُ للناسِ. جُرحًا أنتَ صاحبهُ ، فأنت ضمير منفصل للمخاطب، فالطبيعة الحجاجية للفعل الأمر (لا تشكُ) وقد تكرر في القصيدة مرات بأن لا تشكُ للناسِ. جُرحًا أنتَ صاحبهُ وهذا حجاج، و النتيجة صريحة يوظفها الشاعر لصالح المخاطب وهي لا يؤلمُ الجُرحَ ...إلا منْ به ألمُ - شكواكَ للناسِ منقصةٌ

وفي قوله : كـــنْ ذا دهاءٍ وكنْ لصًا. بغيرِ يدٍ *** ترى الملذاتِ. تحتَ يديكَ تـــــزدحمُ

يطلب فيه الشاعر من المتلقي أن يكون لصا، فما الحجة على ذلك؟ ← لترى الملذات مزدحمة بين يديك ، لماذا ؟ لأن العالم الذي نعيش فيه يقدس المال و الجاه.

ويعرض لنا في قوله :

شكـواكَ شكواي. يا منْ تكتوي ألمًا *** ما ســـالَ دمعٌ على الخدينِ. سالَ دمُ

بإضافة ضميري المتكلم و المخاطب لشكوى، فيضع الحجه بأنهم متساوون في الألم و الحزن والهم و الشقاء – يا من – وجاءت هنا للفت الانتباه و الاصغاء ، وهذا النداء يختص بنداء العواطف و المشاعر و الاحاسيس ، فالذي تحسه أنت أحسه أنا، هذا حوار حجاجيا تمثلت فيه الحجة و النتيجة .

ويختم الشاعر بحقيقتين و بحجة بالغة في قوله :

ومــنْ ســوى اللهِ. نأوي تحتَ سدرَتهِ *** ونستغيثُ بــهِ. عــوناً ونعتصـــمُ

ففي هذا الخطاب الحواري يدعو المتلقي، بأن يعود إلى الله فهو خير عونا للعبد فالحجة، أن نأوي تحت مضلة الله ← النتيجة ← الله هو رب المستضعفين و وهو الحافظ من كل شيء

كـــنْ فيلسوفا تـــــرى أنَ الجميعَ هنا *** يتقاتلونَ على عدمٍ وهمْ عـــــدمُ

وينهي بفعل الأمر (كـــنْ) مخاطبا المتلقي، بأن يكون حكيما (فيلسوفا)، وبأن يعمل فكره مؤكدا على أن الجميع يتقاتل من أجل المال، وهم سيجمعونه ويتركونه عند الموت

ونخلص إلى عرض ما تقدم من حوارات فقد اكتسبت قوة حجاجية عالية القيمة، بل تبين لنا بوضوح الحوار الحجاجي المقنع.

5- الروابط الحجاجية :

إن تقدير المتكلم لردود أفعال المخاطب يجعله يستنبط حججا افتراضية، لأن خطابه الحجاجي يكون دوما مواجها لخطاب ضد حقيقي أو تقديري ، سواء كان واقعا، وهو بالتالي مرفوضا أو مقدرا يتوقعه المتكلم، ويفترض وجوده في ذهن المتلقي ، فأنه يسهم في تحقيق النشاط التواصلي الذي قد تفرضه البنية اللغوية او السياق [17].

و الروابط الحجاجية هي التي تصل المقدمة للاستنتاج، تتدخل في توجيه دلالة المحاججة [18].

" وتكون في شكل عناصر نحوية مثل أدوات الاستئناف (الواو – الفاء – أم -...)" [19].

وبالعودة إلي القصيدة نجد أن الشاعر استخدام الروابط الحجاجية لكي يربط بين مفاصل الكلام، و يصل بين أجزائه فتتأسس عنده العلاقة الحجاجية المقصودة، فهوا يربط الكلام باستخدام أدوات العطف مثل قوله : أضحى شعاري وحفّزني لأكرمهُ - ومَن *** مِن الناسِ - فالهمُ كالسيلِ والأمراضُ زاخرةٌ - أَم التعازي بديلٌ. إن هوى العَلمُ - فإن شكوتَ. لمنْ طابَ الزمانُ لهُ – و الجِـــمْ همومَكَ واسرجْ ظهرهًا فرسًا *** وانهضْ كسيفٍ - والخـــــيرُ. حَملٌ وديعٌ طيبٌ قَلِقٌ والشرُ. ذئبٌ - فالـــمالُ والجـــاهُ - والأقـــوياءُ. طواغيتٌ فراعنةٌ وأكثرْ . كل حروف العطف تقريبا التي وردت في القصيدة جمعتها هنا وهي : (الواو – الفاء – أم) وقد استخدمها الشاعر في أغلب الأبيات وإذا رجعنا إلى مدلول حرف (الواو) فهو يدل على المشاركة لفظا و حكما[20]

وحفّزني لأكرمهُ و الرابط بحرف (الواو) مشاركة للشعار الذي خصه لنفسه فيعطف عليه (بالواو) مشاركة لتعم الفائدة و تتعدد . ونجد في قول الشاعر : شكواكَ للناسِ منقصةٌ. ومَن ، فجاء الشطر الثاني في هذا البيت مشاركا أي إن الشكوى من المرض،

و الهم، و الحزن سائر على كل البشر، فالشاعر يقول لا تشكُ يامن تصيح بالشكوى فالناس جميعا تئن مما أنت شاك.

وقوله : وإن شكوتَ. لمنْ طابَ الزمانُ لهُ ، دلت (الواو) هنا على الاشراك أيضا، وقد ارتبط العطف بالتوكيد (وإن) فالنتيجة مؤكدة ، حيث يريد الشاعر أن يقول: و إن شكوت لمن يفرح لأحزانك فإنك ستزيد من الآمك و أوجاعك .

وقد تكرر حرف العطف (الواو) في هذا البيت : والجِـــمْ – واسرجْ – وانهضْ ، دلالة توالي هذه الأفعال بالمشاركة، و الترتيب، و السرعة ، اذن الرابط النحوي (الواو) جاء ليربط بين أجزاء القصيدة محققا الانسجام و التلاحم بينهم .

حرف العطف (الفاء) يدل على الترتيب بالاتصال، و اختصت (الفاء) بأنها تعطف ما لا يصلح أن يكون صلة ، كما يدل على السببية [21] ، وقد وردت في القصيدة: فالهمُ كالسيلِ - فالخـــــيرُ. حَملٌ وديعٌ - فالـــمالُ والجـــاهُ ، هذه الجمل وقد وردت في أول صدر كل بيت عطفت على ما قبلها فجملة فالهمُ عطفت على مِن الناسِ صاحٍ ما بهِ ســــــــقمُ عجز البيت الذي سبقه وهو يفيد الترتيب في توالي الأحداث، أي إن الشاعر يريد أن يقول: يامن تشكو همومك لناس فإن الناس تصيح بهمومها ، فالهموم كالسيل عندما يأتي السيل فأنها تجرف الجميع.

وكذلك قوله : فالخـــــيرُ فقد عطفت على ما قبلها وهو عـــــدالةُ الأرضِ مُذْ خُلقتْ مزيفةُ فالخير يمثل العدالة فهو حمل وديع، و الزيف يمثل الذئب الشرير الماكر المخادع، و العطف مكملا لمعنى البيت السابق .

و جاء حرف العطف (أم) في قول الشاعر : هلْ المواساةُ ... أَم التعازي بديلٌ. إن هوى العَلمُ تدل (أم) هنا على التسوية ويفرض أن تسبقها الهمزة، ولكن الشاعر عدل عن استعمال الهمزة باستعمال الاستفهام (هل)، لأن هذا الاستفهام لتقرير و الإقرار هنا لنفي، وجاءت (أم) العاطفة هنا لمواصلة الإقرار بالنفي، ولذا جمع الشاعر بين لفظتين مترادفتين (المواساةُ - التعازي) فلا المواساة تحرر الوطن ولا التعازي إذا ضاع الوطن .

ومن الروابط الضمائر في قوله : أذهلني بروعتهِ ، حيث اسند لنفسه الذهول، و هو قائله أي يريد أن يبرهن بالأعجاب **بروعة** هذا البيت و الذي – **حفزه ليكرمه** بعشرين بيتا، و هذه نتيجة حجاجية فقد جاءت ياء المتكلم لتدل على الخصوصية و الملكية للشاعر صاحب الإبداع، و الضمير – **لها من مثله حكم** - جاءت مؤنثة،

لأنها تعود على الأبيات فكأنه يقول : **اضفت عشرين بيتا من الحكم** على الأبيات، و جاءت دلالة تقديم الضمير **لها** لتعظيم و المبالغة في قيمة الحكم، – وهذه بعض الضمائر التي وردت في القصيدة - شعاري وحفّزني - لها مِن مِثلهِ حَكمُ - أنتَ صاحبهُ - إلا منْ به ألمُ - مهما أهلها كتموا - عيناكَ تَغلي - شكواكَ للناسِ فجاء استخدمه للضمائر لربط بين معانيه و يكون حجة و يقابلها دليلا.

و من الروابط حروف الجر: (مذ – من – اللام – الباء – الكاف – على)، و لنضع الحجة في استعماله ل- مذ - في قوله : مذْ أن خطهُ القلمُ ، (**مذْ**) " حرف جر وهو اسم و يكون ظرف زمان، و يكون حرف جر، و يجر اسم زمان ... " [22]، وقد حرص الشاعر على أن يأت بها حرف جر تدل على الزمان، و يأتي بعدها اسم من أسماء الزمان، و في القصيدة كان اسم الزمان مقدرا والتقدير : مذ وقت طويل خطه القلم، و لأن مذ تعني بعيدا جدا، و لهذا الشاعر استعملها و لم يستعمل منذ، و كذلك في قوله : مُذْ خُلقتْ ، و التقدير : **مذ** الوقت الذي خلق الله فيه الأرض كما استخدم الشاعر الجر (**بمن**) " و تجيء من للتبعيض و لبيان الجنس و لابتداء الغاية في غير الزمان ..."[23] و تعددت وجودها في القصيدة منها في قول الشاعر : بيتٌ من الشعرِ ، و وردت هنا لبيان الجنس، جنس البيت، فكان من الشعر و قوله : لها مِن مِثلهِ حَكمُ أيضا لبيان الجنس، و التأكيد فهو حكمة و أضاف اليه مجموعة من الحكم و كذلك تعددت معاني (اللام) :" و تأتي للانتهاء و للملك و التعدية و التعليل ..."[24] و قد استخدمها الشاعر للتعليل في قوله : لا تشكُ للناسِ ، أي علل الشاعر للمتلقي سبب رفضه الشكوى للناس، وتمثلت نتيجة التعليل في عجز البيت وفي قوله : شكواكَ للناسِ منقصةٌ أفادت اللام التعليل أيضا .

أما حرف الجر (الباء) فقد دل على الاستعانة[25] في قوله : بلسعِ النارِ يلتئمُ

فقد استعان الشاعر على علاج الجرح بلسع النار حتى استطاب، و أفاد حرف الجر (الباء) في قوله : وكنْ لصًا. بغيرِ يدٍ ، على الاستعانة، و لكن بتعبير غريب تستشف من خلاله السخرية و التهكم، حيث يأمر و يحث المتلقي على الدهاء و أن يكون سارقا و لكن : بغيرِ يدٍ ، إذ كيف يسرق السارق دون استعمال اليد ؟ فالشاعر يظهر للمتلقي خبث البشر المخادعين الذين ينهبون و يحتالون على سرقة الناس مبتدعين طرقا مختلفة، يظهرون من خلالها أنهم أصحاب مراكز، و رجال أعمال، و

بالتالي ينخدع بهم الناس، ويعتقد بانهم شرفاء، كما أفاد حرف الجر (على) الاستعلاء[27] كما في قوله: على ضلوعي - على الخدينِ .

و أيضا من الروابط التي أثْرت الحجاج أدوات الاستفهام (كم) مثل قول الشاعر : كمْ خابَ ظني - كمْ صِرتُ جسراً ، و هي هنا خبرية تفيد الكثرة " كم اسم استفهامية، و خبرية، و هي تستعمل للكثرة، لها الصدارة في الكلام استفهامية كانت أم خبرية "[28] فلم تأتي استفهامية عن العدد، بل جاءت لكثرة خيبات الظن للشاعر، و كثرة وقوعهم في قوله : وكمْ زلّتْ به قدمُ .

كما أورد لنا الشاعر بعض الأحداث كنوع من البراهين مستخدما معجم الموازنة و المقابلة و المجادلة ليقنع المتلقين فمنها قوله:

لا تشكُ للناسِ. جُرحًا أنتَ صاحبهُ *** لا يؤلمُ الجُرحَ ...إلا منْ به ألمُ

شكواكَ للناسِ منقصةٌ. ومَن *** مِن الناسِ صاحٍ ما بهِ ســـــــقمُ

يخاطب المتلقي بوسيلة الأقناع و تقديم البرهان لأن الجرح لا يحسه إلاَّ صاحبه، و كذلك قوله :

فالهمُ كالسيلِ والأمراضُ زاخرةٌ *** حمرُ الدلائلِ مهما أهلها كتموا

و هنا يُظهر الدليل مجادلا، بأن الهموم و الأمراض و الأوجاع منتشرة، الكل يعاني من هذه الألآم

وهي تظهر، و إن كتمها الناس، و يقول : هلْ المواساةُ يومًا. حـرَّرَتْ وطنـًا *** أَم التعازي بديلٌ. إن هوى العَلمُ ، الأحداث متشابهة بذكره للمترادفات، و يعرض الأمثلة مستخدما أسلوب التمثيل و التشبيه في قوله: كل السكاكينْ صوبُ الشاةِ. راكضةٌ *** لِتطُمئنُ الذئبَ. أن الشملَ ملتئمُ ، يقال في الشاة إذا مرضت كثرت سكاكينها والخـــــيرُ. حَملٌ وديعٌ طيبٌ قَلِقٌ *** والشرُ. ذئبٌ خبيثٌ مـــــاكرٌ نَهمُ ، فهو يمثل الخير بالحمل الوديع، و يمثل الشر بذئب خبيث

و في قوله : الـــمالُ والجـــاهُ ...تمثالانِ مِنْ ذهبٍ ، يمثل المال و الجاه بتمثال من ذهب ، و قوله : والأقـــوياءُ. طواغيتٌ فراعنةٌ ، فقد وظف الفراعنة بسطوتهم على الناس .

ويذكرهم بربهم و اللجوء إليه، و الاستعانة به فهو جل جلاله خير معيين في قوله :

ومـــنْ ســـوى اللهِ. نأوي تحتَ سدرَتهِ *** ونستغيثُ بـــهِ. عـــوناً ونعتصـــمُ

و يختم بقوله :

كـــنْ فيلسوفا تـــــرى أنَ الجميعَ هنا *** يتقاتلونَ على عدمٍ وهمْ عـــــدمُ

أن يكونوا حكماء، و يوازنون بين الأشياء، فليس من المعقول أن تفهم كنه الحياة و تدرك حقيقتها و نهايتها ثم تقتتل من أجل ماذا تفعل ذلك؟ و أنت جئت من عدم إلى عدم.

الخـاتـــــمة :

عُنيت هذه الدراسة إلى التحليل الحجاجي لقصيدة (**لا تشكُ**) للشاعر كريم العراقي، و كانت النتائج كالآتي :

1- قصيدة (**لا تشكُ**) لها طبيعة خاصة أسهمت في تحليليها حجاجيا.
2- التحليل الحجاجي يقوم على تقنيات متنوعة في البنية النصية .
3- الحجاج يُعنى بلغة الوصف و تحليل النصوص .
4- الحجاج الخطابي يتمثل في التأثير العاطفي، و لا يُسمى نص حجاجي؛ إلَّا إذا توفرت فيه و سائل الأقناع، و تقديم البراهين، و الاستدلال، و الحوار .
5- استخدم الشاعر كريم العراقي الحجاج الجدلي؛ لهذا نجد أن النتائج محققة بشكل إلزامي، و ما على المتلقي إلَّا التسليم بالنتائج .
6- اجاد الشاعر توظيف الاستعارة الحجاجية؛ لكونها تتسم بآلية حجاجية اقناعية بالتأثير العاطفي، و العقلي عند المتلقي .
7- استطعنا ضمن تطبيق المنهج الحجاجي تحليل النص الشعري، وفق علاقاته التركيبية التي تمحورت على شكل روابط حجاجية .
8- نستطيع القول: إن خطاب الشاعر كريم العراقي – قصيدة **لا تشكُ** – حجاجي؛ لأنه لامس عمق المتلقي بتوصيل لغته الخطابية عبر آليات الحجاج المختلفة.

الهوامـــش

1- الصحاح تاج اللغة، و صحاح العربية: لابن حماد الجوهري، تحقيق: محمد أحمد تامر، دار الحديث القاهرة، ط – 2009 – مادة ح-ج-ج – ص225 .
2- مختار الصحاح : محمد الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت ط 1 -1995 –ص 59.
3- التعريفات: للجرجاني، مكتبة بيروت لبنان، -1985 م –ص86.
4- معجم المصطلحات في اللغة و الأدب : مجدي وهبة و كامل المهندس، مكتبة لبنان –ط2-1969م-ص144.

5- البيان و التبين: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ج1ص88.
6- الحجاج في الشعر العربي القديم : سامية الدريدي، عالم الكتب الحديثة، –ص28.
7- ينظر: الحجاج بين النظرية والأسلوب: باتريك شارود: ترجمة: احمد الودرني، دار الكتاب الجديدة، –ط1-2009-ص21-23.
8- الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية : عبدالله صولة، دار المعرفة تونس، –ط2- 2001م-ص18.
9- أنظر: موقع المرسال نسخة محفوظة، تعرض سيرة كريم العراقي، – 10 – 4 -2020م.
10- مقابلة تلفزيونية على قناة الامارات، -13-4-2019م.
11- دُونت القصيدة من إلقاء الشاعر كريم العراقي، في مقابلة تلفزيونية على قناة الإمارات - 13-4-2019م.
12- دينامية النص : محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي البيضاء، -1987-ص72.
13- الميسر في البلاغة العربية، دروس وتمارين: أحمد بن عبدالله شعيب، دار ابن حزم بيروت لبنان، –ط1-2008-ض87.
14- ينظر: تداولية الاستعارة من خلال اسرار البلاغة: لعبد القاهر الجرجاني: خليفة أبو جادي، مجلة علوم اللغة العربية و آدابها جامعة الوادي الجزائر، مجلد 5- العدد -5- 2013-ص171.
15- مفهوم الحجاج عند بيرلمان و تطوره في البلاغة المعاصرة: محمد سالم ولد محمد الأمين، مجلة عالم الفكر، العدد-2 يناير مارس -2000م-ص68.
16- ينظر: الحجاج و الشعر: نحو تحليل حجاجي لنص شعري معاصر: ابوبكر العزاوي، مجلة دراسات سيميائية أدبية لبنانية، العدد-2-ديسمبر-1992م-ص109.
17- مفهوم الحجاج :محمد سالم، ص69.
18- ينظر: مصطلحات حجاجية: هاجر مدقن مجلة مقاليد، العدد -1-2011-ص37.
19- المصدر السابق، ص37.
20- نظرية الحجاج في اللغة : شكري المبخوت مأخوذة من كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم : أشراف حمادي محمود، جامعة منوبة كلية الآداب و الفنون و العلوم الإنسانية، –ص377.
21- ينظر : شرح ابن عقيل : محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع -2009-ج-3-ص165.
22- ينظر : المصدر السابق، ج-3-ص167.
23- شرح ابن عقيل، ج3-ص8.
24- ينظر : شرح ابن عقيل ، ج3- ص16.
25- المصدر السابق، ج3-ص11.
26- ينظر: المصدر السابق، ج3-ص14.
27- ينظر : شرح ابن عقيل، ج3-ص17 .
28- ينظر: المصدر السابق، ج4-ص60.